Observatoire Social Tunisien
المرصد الاجتماعي التونسي
FORUM TUNISIEN POUR LES DROITS ÉCONOMIQUES ET SOCIAUX

FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

التقرير السنوي 2020

للانتحـــــار ومحاولات الانتحـــار في تونس

IMPRESSION SOLIDAIRE: impression.solidaire@gmail.com

التّقرير السّنوي

للانتحار ومحاولات الانتحار في تونس

-2020-

رواء الكـــــافي

نجلاء عرفـــــة

ايمن بن علـــي

ريـــــم سوودي

أسماء سحبون

المحتوى

4 مقدّمة

7 الانتحار في أرقام: قراءة عامّة في حصيلة 2020

9 1. التّوزع الجهوي للانتحار ومحاولات الانتحار

12 2. الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الجنس والشّريحة العمريّة

19 تداعيّات الوضع الوبائي على الانتحار ومحاولات الانتحار

24 1. العنف الأسري

26 2. تردّي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة ما بعد الحجر الصّحي: الضحايا الجدد للجائحة

30 خاتمة

32 ملحق عدد 1: الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الولاية

33 ملحق عدد 2: الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الجنس والشّريحة العمريّة

مقدّمة

لطالما ارتبط فعل الانتحار في القديم بخلفية دينيّة وفلسفيّة وقد اختلفت مفاهيمه وأسبابه باختلاف المجتمعات وفي مطلع القرن التّاسع عشر اعتبره علماء النّفس نتيجة للأمراض العقليّة ولكنّه سرعان ما أخذ منحى آخر ليصبح في مجتمعاتنا المعاصرة أو مجتمعات ما بعد الحداثة فعلا احتجاجيّا ووسيلة لرفض واقع مرير كما هو الحال مع محمّد البوعزيزي الذي أقدم على حرق نفسه كردّة فعل على ما بدا له ظلما وقهرا من قبل "النّظام "وممثّليه (البوليس) آنذاك حسب السّرديّة الأكثر تداولا ضمن سرديات" الثّورة "التّونسيّة. وإن بدت هذه الحادثة في ظاهرها فعلا فرديا فهي في باطنها فعل جماعي تنزّل في سياق مجتمعيّ معيّن وهو مرتبط به. إنّ البوعزيزي" النّاقم على الوضع " لا يمثّل شخصه فقط وإنّما شريحة مهمّة من الشّباب التّونسي "النّاقمون "و"السّاخطونّ "فهو حالة فرديّة مشبعة بروح الجماعة أو" فردانيّة جامعة "تختزل و"تلّخص واقع الألم الجماعي والإقصاء الاجتماعي ."ومنذ 14 جانفي اتّخذ الانتحار حرقا أو التّهديد به بعدا رمزيّا كتعبيرة احتجاجّية تتمسرح في الفضاء العام (المعتمديات، مقراتّ الولايات، السّاحات العموميّة ...).

وفي إطار التّفاعل مع المستجدّ فإنّ اجتياح فيروس "كوفيد 19" للعالم وتونس جعل من سنة 2020 سنة استثنائيّة على إثر الإجراءات الصّحيّة التّي فرضتها الحكومة حيث أجبر عدد كبير من العمّال والحرفيين وأصحاب المهن الحرّة (نساء ورجالا) على الدّخول في حالة عطالة فازداد الفقراء فقرا والمهمّشون تهميشا في ظلّ وضع سياسي موبوء هو الآخر يتسّم بقطيعة بين الطّبقة السّياسيّة والشعب، ناهيك عن التّزايد الملحوظ في منسوب الإجرام والعنف خاصّة ضدّ النّساء والأطفال في فترة الحجر الصّحي الشّامل. فقد ولّدت هذه الفترة والتّي هي أشبه بحالة سجنيّة ضغطا نفسيا تعزّز فيما بعد بمشاعر الخوف واليأس بسبب تأزّم الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والأمنيّة ولم يمثّل لجوء البعض للانتحار مفاجأة خاصّة بعد أن عجزوا على التّأقلم مع هذه التغيّيرات وإيجاد حلول لواقعهم المعيشيّ. فالانتحار من وجهة نظر نفسيّة وبيولوجيّة هو نتاج لإنهيار عمليّة التكيّف أو القدرة على التصدّي للآلام (siliencer) التّي تختلف باختلاف شخصيّات الأفراد وظروفهم الحياتيّة. فالمنتحر في هذه الحال لا يستطيع التّوافق والتأقلم مع اليوميّ بسبب ما لحقه من قصور وعجز عن خلق البدائل فيلجأ لوضع حدّ لحياته كنوع من الخلاص. كما أنّ الانتحار من منظور علم الاجتماع هو فعل مرتبط عضويا بمسألة الانسجام الاجتماعي للأفراد كما ذهب

لتفسيره إميل دوركايم وهو من جهة أخرى مؤشّر من خلاله يمكن فهم طبيعة المجتمعات وجذورها التّاريخيّة. بالتّالي فإنّ الانتحار يقوم على ثنائيّات متضادّة فهو فعل ذو بعد فردانيّ يدلّ على الاستسلام، الهروب والصّمت ولكنّه في الآن ذاته فعل جماعيّ يحرّكه الغضب، الاحتجاج والمواجهة، بل هو خطاب الجسد في ذروة تعبيراته.

وفي هذا الصّدد سنحاول البحث في مستوى الفعل الانتحاري في تونس من خلال قراءة تجمع بين علم الاجتماع وعلم النّفس والدّراسات الثّقافيّة انطلاقا من حصيلة 2020 لحالات الانتحار ومحاولات الانتحار التّي رصدها المرصد الاجتماعي التّونسي التّابع للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتّي اعتمد فيها عديد المتغيّرات مثل السنّ، الجنس، الولاية، الشريحة العمريّة والطّريقة المعتمدة. وسنسلّط الضوء على مدى تأثير عامل" الكوفيد" على فعل الانتحار ومحاولة الانتحار خاصّة في الأشهر التّي تلت فترة الحجر الوبائي.

فمن ينتحر؟ ولماذا؟ وهل أثّرت الجائحة في تصوّر الفاعلين للحياة وللموت؟

الانتحـــــار في أرقام: قراءة عـــــامّة في حصيلة 2020

تراجع عدد الحالات المسّجلة للانتحار ومحاولات الانتحار من 268 حالة سنة 2019 إلى 235 حالة سنة2020 .

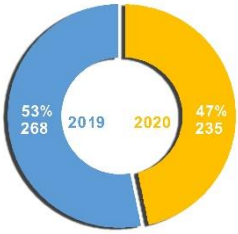

السنة	مجموع حالات الانتحار ومحاولات الانتحار
2020	235
2019	268

بلغ عدد الذّكور فيها 174 حالة مقابل 61 للإناث وقدرت نسبة التّراجع ب 6.56 بالمائة وهو تراجع طفيف نسبيّا.

مجموع حالات الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الجنس

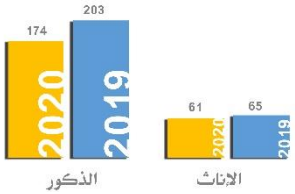

السنة	الذّكور	الإناث
2020	174	61
2019	203	65

حافظت الشّريحة العمريّة من 26 إلى 35 سنة على صدارة التّرتيب منذ السّنة الفارطة ب 69 حالة: 55 حالة بالنّسبة للذّكور و14 للإناث وكان الشّنق أبرز الطّرق المعتمدة خلال هذه السّنة.

الشّريحة العمريّة	-15	16-25	26-35	36-45	45-60	+60
2020	26	49	69	44	36	11
2019	43	51	86	42	36	10

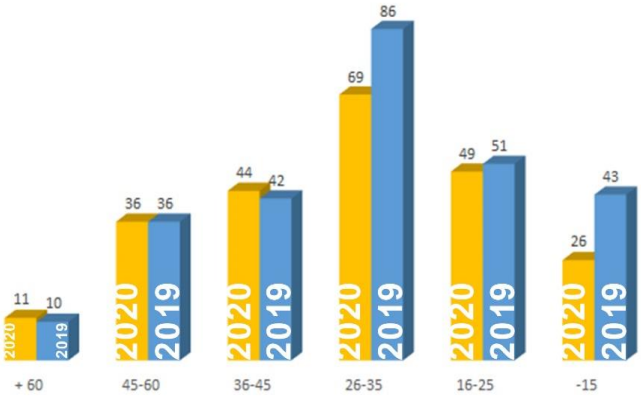

إنّ الأرقام التّي نشرها المرصد الاجتماعي التّونسي التّابع للمنتدى التّونسي للحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة تبقى تقريبيّة لأن هناك حالات غير معلنة لأسباب ثقافية واجتماعيّة. إذ يرتبط الانتحار في الوعي الجمعي التّونسي بالحرام والعار والفضيحة ممّا يجعل بعض العائلات تخفي الأمر خاصّة إذا كانت الضحيّة فتاة...

الانتحارومحاولات الانتحارفي 2019 – 2020 حسب الفئات العمرية

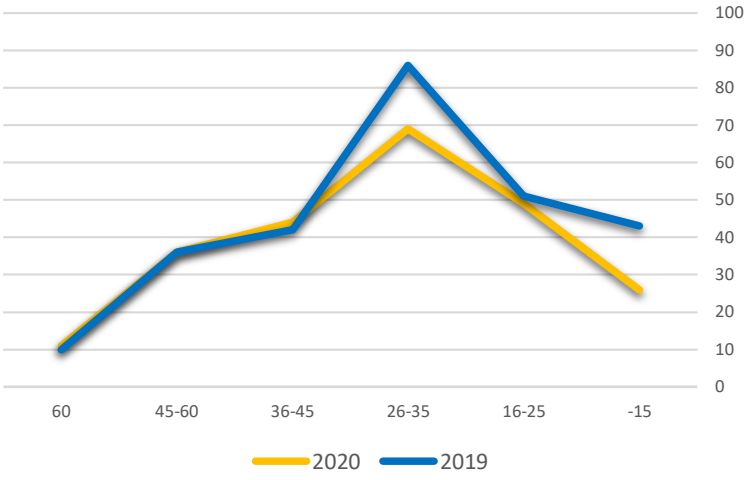

1. التّوزع الجهوي للانتحارومحاولات الانتحار:

نلاحظ أن خارطة الانتحار ومحاولات الانتحار بصدد التّشكل جهويّا حيث ارتفعت حالات الانتحار بولاية نابل بشكل ملحوظ من 15 حالة سنة 2019 إلى 27 حالة هذه السّنة تليها سيدي بوزيد وجندوبة ب 20 حالة في كلّ منهما بينما حافظت ولاية القيروان على المرتبة الأولى ب 37 حالة. وإنّ بدت حصيلة هذه الولاية غير مفاجئة ذلك أنّها تعاني من الفقر والبطالة وغيرها من العوامل التّي تدفع بالشّباب إلى اليأس وبالتّالي الانتحار إلّا أنّ التّغيير الحاصل في التّوزيع الجهوي لحالات الانتحار ومحاولات الانتحار

يُسقط نسبيّا الفرضيّة التّي تحصر الإقدام على الانتحار في المناطق الأقلّ تنمية أو المناطق الدّاخليّة فالبؤس واليأس لا يعرفان حدودا فحتّى المناطق التّي توصف ب" المحظوظة " (السّاحل، الشّمال والوطن القبلي) ليست بمنأى عن الانتحار ...

2020	2019	
2	0	أريانة
3	1	بن عروس
6	9	بنزرت
11	15	تونس
4	4	زغوان
1	4	منوبة
27	15	نابل
3	6	باجة
20	16	جندوبة
8	12	سليانة
4	11	الكاف
17	16	سوسة
11	8	صفاقس
3	13	المنستير
9	9	المهدية
20	19	س بوزيد
10	14	القصرين
37	48	القيروان
2	5	تطاوين
5	8	قابس
7	9	مدنين
2	5	توزر
7	2	قبلى
16	19	قفصة
235	268	المجموع

وبالتّالي لا يمكن أن نسلّم بربط آليّ بين نسب الانتحار والانتماء الجهوي .

التّوزع الجهوي للانتحار ومحاولات الانتحار

2. الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الجنس والشّريحة العمريّة:

الشّريحة العمريّة: أقل من 15 سنة

تراجع عدد الحالات المسّجلة للانتحار ومحاولات الانتحار في صفوف الأحداث من 43 حالة سنة 2019 إلى 26 حالة سنة 2020 توزّعت بين 20 حالة للذّكور و6 حالات للإناث ولكنّه يظلّ رقما مفزعا ويطرح عديد التّساؤلات عن الأسباب التّي يمكن أن تدفع بطفل إلى أن يضع حداّ لحياة مازالت في بدايتها...

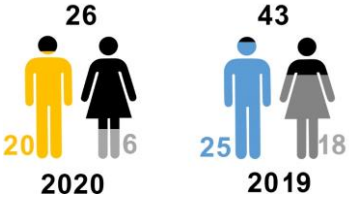

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	20	6	26
2019	25	18	43

إنّ تراجع الدّور التّربوي والتّثقيفي للمدرسة العموميّة التّي يقضي فيها الطّفل معظم وقته وتذبذب الحياة المدرسيّة والزّمن المدرسي بسبب الجائحة أضف إلى ذلك غياب التّأطير الأسري كلّها عوامل جعلت الطّفل أكثر عرضة للفراغ والملل ممّا دفعه إلى الإدمان على العالم الافتراضي بما فيه من ألعاب وتطبيقات خطيرة" الحوت الأزرق "مثالا، إذ تعتمد على التّحدّي كأساس لها. فالطّفل في هذه

الحال وإن لم يكن له تصوّر أو فهم للانتحار فهو يُحال عليه دون أن يشعر ...

ولا يمكن غضّ الطّرف على التّأثير النّفسي المدمّر للعنف بشكل عامّ والعنف الجنسي ضدّ القُصّر خاصّة في المؤسّسات التّربويّة والفضاءات العموميّة وغيرها هذا إلى جانب التّفكك الأسري والعنف المنزلي ضدّ المرأة (الأم) الذّي ارتفعت وتيرته في فترة الحجر الصّحي الشّامل وهو ما خلّف خوفا وتوتّرا لدى الطّفل خاصّة مع استقالة شبه تامّة للهياكل المختصّة في الرّعاية النّفسيّة والاجتماعيّة .

الشّريحة العمريّة من 16 إلى 25 سنة

احتلّت هذه الشّريحة المرتبة الثّانيّة من حيث عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار لسنة 2020 ب 49 حالة حيث تراجع عدد الحالات المسجلّة لدى الذّكور من 34 حالة سنة 2019 إلى 31 حالة بينما سُجّل ارتفاع طفيف بالنّسبة للإناث من 17 حالة إلى 18 حالة .

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	31	18	49
2019	34	17	51

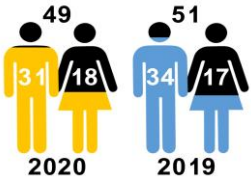

تُعتبر هذه المرحلة حسّاسة لكونها مرحلة انتقاليّة من الطّفولة إلى مرحلة النّضج وتكون فيها نفسيّة المراهق/ة هشّة بسبب التغييرات البيولوجيّة والفيزيولوجيّة. خلال هذه المرحلة عادة ما يدخل المراهقون/ات في صدام مع أوليائهم ومن يكبرهم سنّا من الأقارب أو المربّين حيث يلجأ معظمهم إلى طرق ردعيّة لكبح جماح هذه الفئة التّي تميل بشكل طبيعيّ للمغامرة وحبّ التّجربة والتّحدّي عوض اعتماد الحوار. بالتّالي فإنّ غياب التّواصل يؤدّي بالضّرورة لفجوة بين الجيلين تنتهي باغتراب الجيل الأصغر عن محيطه الاجتماعي. كما يمكن أن نضيف أنّ الضّغط المُسلّط من طرف الأولياء على هذه الفئة بسبب الفشل الدّراسي خاصّة إذا ما اعتمدوا المقارنة قصد" التّحفيز "يمكن أن يدّمر فيهم الثقة بالنّفس.

فالاغتراب واهتزاز الثّقة بالنّفس والاكتئاب بسبب فشل العلاقات العاطفيّة من شأنه أنّ يخلّ بالتّوازن النّفسي لهذه الشّريحة ويجعلهم يفكرّون في الانتحار، لذا من المهمّ أن تعمل السّلطات المعنيّة بمعيّة المجتمع المدني على توعية الأولياء والمربّين بضرورة اعتماد طرق بيداغوجيّة متطوّرة تُيسّر التّواصل مع هذه الفئة .

كما تجدر الإشارة إلى أنّ ظاهرة الانقطاع المبكر عن الدّراسة مع إهمال منظومة التّكوين المهني في تونس هيأت الأرضيّة للانتحار .

فماذا ننتظر من شاب/ة لم يجد غير الشّارع بديلا بالنسبة للذكور (أو البيت بالنّسبة للفتيات) بعد أن هجر مقاعد الدّراسة (اختيارا أو اضطرارا) في سنّ مبكرّة غير الشّعور بالحرمان والإقصاء وعدم الجدوى؟

الشّريحتان العمريّتان: من 26 إلى 35 سنة ومن 36 إلى 45:

رغم التّراجع في حجم الحالات المسّجلّة من 86 حالة سنة 2019 إلى 69 حالة سنة 2020، بقيت هذه الشّريحة الأكثر حضورا من بين كلّ الشّرائح العمريّة في حالات الانتحار ومحاولات الانتحار المُسجلة. مثّل الذّكور 54 حالة في حين ارتفع عدد الإناث ب 10 حالات منذ سنة 2019 ليبلغ 18 حالة في 2020. وتجدر الملاحظة أنّ هذه الشّريحة هي الأكثر حضورا في مستوى التحركات الاحتجاجيّة والعنف والهجرة غير النّظاميّة .

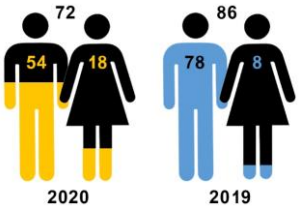

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	54	18	72
2019	78	8	86

تأتي الشّريحة العمريّة 36-45 سنة في المرتبة الثّالثة في حالات الانتحار ومحاولات الانتحار حيث بلغ عدد الحالات المسجلّة 44 حالة منهم 33 ذكور و11 إناث متجاوزة بذلك حصيلة 2019 بحالتين إثنتين .

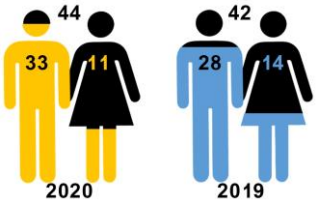

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	33	11	44
2019	28	14	42

تمثّل هاتان الشّريحتان" شباب الثّورة "من مهنيين وأصحاب شهائد عُليا والذّين انتفضوا مطالبة بالشّغل والحرّية والكرامة الوطنيّة. ففي هذه المرحلة من الطّبيعي أن يسعى الشّاب/ة لضمان مستقبله واستقلاليته المادّيّة ولكنّه يصطدم بواقع مرير يحول دونه ودون تحقيق أبسط تطلّعاته ألا وهو ضمان المستوى الأدنى من العيش الكريم له أو لعائلته فيدفعه الشّعور بالفشل والإحباط للانتحار عن طريق تجرّع مادّة" القوارص "السّامة أو حرقا تعبيرا عن سُخطه ونقمته على منظومة أثبتت فشلها في تحقيق الّتنميّة واللامركزيّة أو ينتهي به الأمر غريقا وهو يحاول بلوغ السّواحل الايطاليّة .

الشّريحة العمريّة من 46 إلى 60 سنة :

استقرّ عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار لدى هذه الشّريحة في 36 حالة وهو نفس العدد المُسجّل في سنة 2019 ولم يطرأ كذلك أيّ تغيير على توزيع الحالات بين الجنسين حيث بلغ عدد الذّكور 29 حالة مقابل 7 حالات بالنّسبة للإناث .

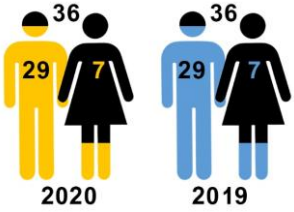

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	29	7	36
2019	29	7	36

إضافة إلى معضلتي البطالة والتّهميش المذكورتين أعلاه واللتّين تمثّلان القاسم المشترك لأغلب الشّرائح العمريّة خاصّة بين 26 و60 سنة فإنّ فئة الكهول تعاني من مشاكل مضاعفة لأنّ الكهل في مجتمعنا الأبوي يعتبر المسؤول على إعالة زوجته وأبنائه وأحيانا والديه فهو" راجل الدار "وربّ العائلة وراعيها، كلّ هذه المهام الملقاة على عاتقه تؤجّج الضّغط النّفسي والتّوتر لديه أمام عجزه على تحقيق الاستقرار المادّي لعائلته كما هو الحال مع عديد العمّال وأصحاب المهن الحرّة الذّين وجدوا أنفسهم دون سابق إنذار في حالة عطالة بسبب الإجراءات الصحيّة التّي أقرّتها

الحكومة .فهكذا قرارات مرتجلة وغير مدروسة لم تنجح في خلق البدائل النّاجعة كما أنّ الدّولة فشلت في توزيع المساعدات بشكل عادل فلجأ أغلبهم إلى التّداين لتوفير قوت يومه وهي وضعيّة أحالت البعض على الانتحار المُنّظم بعد شعور بالحرمان والخصاصة.

الشّريحة العمريّة التّي تجاوزت 60 سنة

ارتفع عدد حالات المنتحرين من المسنّين بحالة واحدة مقارنة بسنة 2019 إذ بلغ 11 حالة سنة 2020 مع ارتفاع في عدد الحالات المسّجلة لدى الإناث من حالة واحدة إلى أربع حالات .**لماذا "يستقدم "المسنّ نهاياته الحتميّة بالانتحار؟**

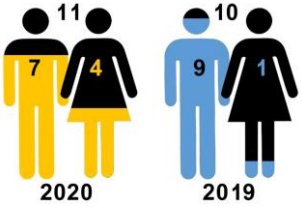

السنة	الذّكور	الإناث	المجموع
2020	7	4	11
2019	9	1	10

يذهب الأخصّائيون في علم النّفس ودراسة السّلوك الانتحاري أنّ شعور الفاعل بأنّه عالة (Burdensomeness) أو مصدر قلق للأفراد المقرّبين منه من عائلته أو أصدقائه مع شعوره بالفراغ والملل يمكن أن تكون دوافع للإقدام على الانتحار. فالعديد من

المسّنين في تونس يعيشون في كفالة أبنائهم أو بناتهم وحينما يدركون أنّهم مصدر إزعاج للآخرين يلجؤون إلى الانتحار عبر شرب جُرعات زائدة من الأدوية التّي يستعملونها إن وجدت طبعا.

هذا إلى جانب قسوة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والبيئي حيث يعاني المسنّون القاطنون في المناطق الرّيفيّة النائية لا فقط من الخصاصة بل من العطش أيضا. وفي ظلّ ضعف منظومة الرّعاية بالمسنين يلجأ البعض للشارع فيفترشون الأرض ويلتحفون السّماء وهو ما لا يخفى على كلّ من يمرّ بشوارع العاصمة .**فكيف لمسنّ هزيل أهلكه الدّهر أن يتحمّل مرارة هذا الوضع؟**

تداعيّات الوضع الوبائي على الانتحار ومحاولات الانتحار:

أصبحت الأجواء قاتمة بعد تفشّي وباء" كورونا "الذّي حصد آلاف الأرواح وأضحى اليوميّ محكوما بثنائيّة الحياة والموت كما هو الحال زمن الحروب والأوبئة وغزا الحديث عن الجائحة المنابر الإعلامية والمقاهي وفضاءات التّواصل الاجتماعيّ. ونتساءل هنا عن حال المواطن التّونسي في خضم هذه المستجدات:

فهل ثمّنت الجائحة قيمة الحياة لديه وجعلته يتشبّث بالبقاء؟

توجد فرضيّتان في هذا المنحى تقضي الأولى بأنّ الشعور بالخطر والتّهديد المتمّثلان في الإصابة بالوباء واحتمال الموت يدفع المرء إلى تثمين قيمة حياته أكثر فأكثر وتكمن الفرضيّة الثّانيّة في أنّ عدم القدرة على التّأقلم مع التغيير الحاصل في الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة بفعل الجائحة يشجّع على الإقدام على الانتحار.

الشهر	الانتحار ومحاولات الانتحار سنة 2020	الانتحار ومحاولات الانتحار سنة2019
جانفي	25	25
فيفري	18	16
مارس	15	29
افريل	30	33
ماي	36	15
جوان	24	28
جويلية	11	15
اوت	17	15
سبتمبر	15	28
أكتوبر	18	20
نوفمبر	9	20
ديسمبر	17	24
المجموع	235	268

بحلول الجائحة تغيّرت السلوكيّات اليوميّة للتونسيّين فحرص أغلبهم على تطبيق البروتوكول الصحي بحذافره امتثالا لتعليمات الأطّباء فأصبحوا يقومون بتعقيم منازلهم وتهوئتها إلى جانب غسل اليدين باستمرار إلى درجة الهوس أحيانا مع ارتداء الكمّامات واحترام مسافة التّباعد الجسدي ووصل بهم الأمر إلى المساس

ب"قدسيّة الموت "من خلال رفضهم لدفن جثث المصابين بمقابرهم خوفا من العدوى وهو ما يُحيلنا على أنّهم أصبحوا "مرعوبين "من الموت ومتشّبثّين بالحياة خاصّة بعد انتشار مقاطع فيديو تُبرز كيفيّة حرق جثث المصابين في أفران أو مقابر جماعيّة ومقاطع أخرى لجنائز دون وداع وغيرها من المشاهد القاتمة التّي جعلت من هذا الفيروس كابوسا حقيقيّا فرض علينا إعادة التّفكير في ذواتنا وحياتنا وحياة أحبّائنا. ولئن كان هذا حال جانب من التّونسيين فإنّ هناك جانب آخر لم تمنعه خطابات الحبّ والحياة والتّفاؤل التّي انتشرت في المنابر الاعلامية في محاولة لتلطيف أجواء الموت من التفكير في

الانتحار والإقدام عليه.

نلاحظ أنّ عدد حالات الانتحار ومحاولات الانتحار المسّجلة في سنة 2020 قد بلغت ذروتها في شهري أفريل ب 30 حالة وماي ب 36 حالة ليعاود تذبذبه في باقي الأشهر علما وأنّ عدد الحالات المسجلّة في شهر ماي 2019 حُدّد ب 21 حالة يعني زيادة ب 15 حالة.

الانتحارومحاولات الانتحارحسب الأشهر لسنة 2019 - 2020

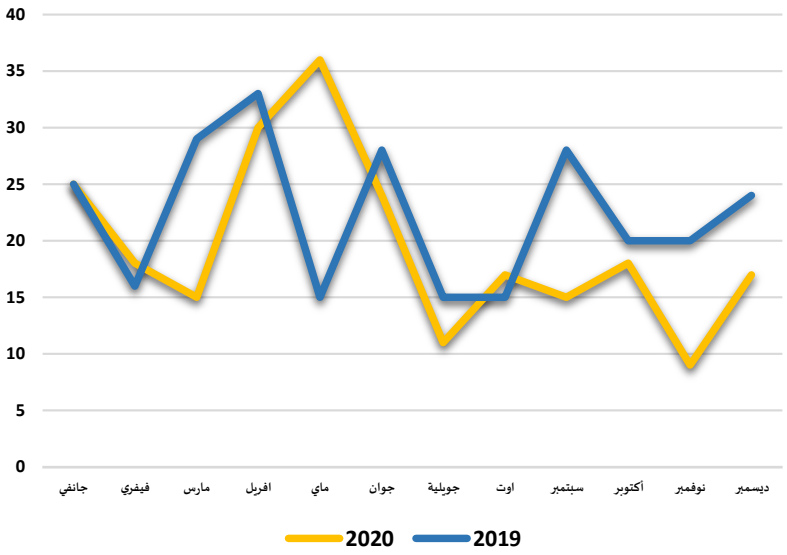

فالحجر الصحّي الشّامل الذي بدأ من 22 مارس وتواصل على امتداد كامل شهر أفريل لم يخفّض من النّزعة الانتحاريّة بل رفّعها مباشرة بعد الخروج منه واستبداله بالحجر الصحّي الموجّه. يمكن أن نذهب في تفسيرنا لدوافع الانتحار ومحاولات الانتحار في فترة الحجر الصّحي وما بعده إلى فقدان قدرة الفاعلين على التأقلم أو التكيّف مع الواقع الوبائي المُستجدّ الذّي طرأت عليه معطيات جديدة زادت في تأزمّه أهمّها تنامي نسب العنف الأسري خاصّة ضدّ النّساء والأطفال وتفاقم البطالة بسبب الاجراءات الصحيّة

التّي أقرّتها الحكومة دون أن ننسى الانكماش الاقتصادي الذّي تعاني منه البلاد التّونسيّة وتأثيره على الواقع المعيشيّ للمواطن والفئات الهشّة خاصّة .

1. العنف الأسري:

يشير المرصد التّونسي الاجتماعي أنّ العنف الأسري قد تضاعف 7 مرّات في فترة الحجر الصّحي الشّامل وتواصل بعده وكانت فئة النّساء والأطفال الأكثر استهدافا .كما أكدّت وزيرة العدل على إثر جلسة بالبرلمان خُصّصت لمناقشة الوضع الوبائي أنّه تمّ تسجيل أكثر من 4 ألاف حالة عنف ضدّ المرأة والطّفل خلال فترة الحجر وهو ما أكدّه تقرير الجمعيّة التّونسيّة للنّساء الديمقراطيات حول العنف المسلّط على النّساء الذّي يبيّن أنّ مراكز الجمعيّة استقبلت 206 نساء ضحايا العنف 57.28% منهنّ بين 31 و60 سنة، 33.98% بين 18 و30 سنة، 6.79% أكثر من 60 سنة، و1.91% دون 18 سنة.

تحوّل البيت إلى فضاء حاضن للعنف بأشكاله أين يُمارس الرّجل سلطته الرّمزيّة التّي منحها إيّاه مجتمعنا الأبوي المُتمّثلة في دوره كأب، زوج أو أخ على المرأة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الذّكور هم مسؤولون عن هذا العنف بنسبة 85 بالمائة .فإقدام الزّوجة،

الأخت، أو الأمّ على الانتحار أو التّفكير فيه وإن بدا كمحاولة هروب أو إستسلام فهو مع ذلك تمرّد على واقع ذكوري قد كبلّ حرّيتها الطّبيعيّة كإنسان واعتبر جسدها" شرفا "أو ملكيّة خاصّة. واستئناسا بتحليل ميشال فوكو الذّي اعتبر قرار الموت هو تحدّ في وجه السّلطة التّي فوّضت نفسها للتّحكّم في حياة الأفراد يمكن القول أنّ إقدام المرأة على الانتحار هو حركة رمزيّة لاستعادة حرّيتها وجسدها الذي قيّدته النّواميس الاجتماعيّة والسّلطة الذّكوريّة. والانتحار في نظر" مارجريت هيجونات " التّي تعمّقت في دراسة الفعل الانتحاري لدى النّساء هو إعادة بناء المرأة لذاتها وهو أيضا نوع من الخطاب الصّامت لتحدّي المجتمع .فللأموات حضور رمزيّ أقوى أحيانا من الأحياء من خلال ذكراهم ومن خلال السّرديات التّي ستحاك لهم والجدل الذي سيثار حولهم (حضور قويّ بالغياب) .

وقد تسّبّب غلق فضاءات عامّة بداية من المقهى الشّعبي للحيّ مرورا بالملاهي الليليّة والمطاعم وصولا إلى النّزل (وهي التّي تمثّل متنفسّا) في تفاقم العنف بأنواعه ضدّ النّساء والأطفال في المنزل تحديدا حيث بلغت نسبة العنف الأسري حوالي 29 بالمائة من مجموع العنف المُسّجل في شهر أفريل وهو ما قد يُفسّر حدوث 10

حالات انتحار ومحاولات انتحار في صفوف الأطفال في الشّهر الموالي مباشرة (ماي) .

2. تردّي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة ما بعد الحجر الصحي: الضحايا الجدد للجائحة:

لا يمكن اختزال"زمن الكورونا " في ثنائيّة الصّحة والمرض فحلول هذا الفيروس غيّر عديد المعطيات في الواقع المعيشي للتّونسي وخاصّة الفئة الهشّة أو" كبش فداء "الطّبقات المهيمنة اقتصاديّا وسياسياّ. حيث سجلّ الاقتصاد التّونسي تراجعا بنسبة -10 في المائة خلال التّسعة أشهر الأولى لسنة 2020 مقارنة بنفس الفترة في السّنة الماضية حسب المعهد الوطني للإحصاء .ورغم أنّ نسبة البطالة انخفضت إلى 16.2 بالمائة خلال الثّلاثي الثّالث لنفس السّنة وفق ذات المصدر فإنّ الوضع الاقتصادي العامّ ما بعد الحجر تميّز بضعف الانتاجيّة وتدهور عديد القطاعات مثل قطاع السّياحة الذّي خسر قرابة 42.7 بالمائة من مداخيله خلال الثّلاثي الثّالث.وبعد قرارات الغلق الفُجئي دخل ما يقارب على 25 ألف مواطن في حالة بطالة فنيّة حسب تصريح وزير الشؤون الاجتماعيّة في المقابل لم توفّر الدّولة فرص عمل جديدة بل تمادت في سياسة المماطلة والتّسويف إذ لم تلتزم الحكومات

المتعاقبة بتطبيق اتفاقيّات موقّعة سابقا مثلا ملف عمّال الحضائر .

بالتّالي فإنّ الجائحة أفرزت ضحايا آخرون إضافة للمصابين وهم "العاطلون الجُدد "من أصحاب المهن الصُّغرى وعمّال المؤسّسات الخاصّة (المصانع) وحرفيّين وصغار الفلاّحين الذين وجدوا أنفسهم فجأة دون مورد رزق وجها لوجه مع الوباء... وحتّى الإعانات التّي وزّعتها الدّولة لم تصل للجميع وإنّ وصلت فهي لغير مستحقيها أحيانا .

ويُشار إلى أنّه منذ شهر أفريل بدأت التّداعيات النّفسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة للجائحة في الاستفحال وأدرك التّونسيّون أنّ الحياة تغيّرت ولم تعد كالسّابق وأنّ الوباء زادهم عناء وشقاء فاحتدّ الاحتقان الاجتماعي طلبا للمُساعدات الماليّة لمن توقفت أنشطتهم وخرج المواطنون غير مبالين بالبروتوكول الصّحي ليعبّروا عن غضبهم ممّا دفع شبّان من معتمديّة مكثر من ولاية سليانة إلى محاولة الانتحار داخل مقر المعتمديّة .وفي نفس الشّهر دفع توّقف النّشاط التّجاري ستة حرفيين من غير المُسّجلين في الدّيوان الوطني للصّناعات التّقليديّة إلى محاولة الانتحار عبر تناول أدوية أو قطع شرايين اليد بعد أن فقدوا مورد

رزقهم وحدث هذا في ولايات بنزت، تونس، منوبة، القصرين وقفصة .

ويُذكر في هذا السّياق أنّ الطّريقة المُعتمدة في الانتحار ومحاولات الانتحار تختلف باختلاف الزمان والمكان .فنلاحظ مثلا أنّ معظم الحالات المُسّجلّة طيلة شهر أفريل أي في فترة الحجر الصحّي الشّامل والتّي بلغ عددها 30 حالة كانت من خلال استعمال سلاح أبيض وتقطيع الشرايين بينما كان الانتحار حرقا هو المُهيمن في شهر ماي أي في فترة الحجر الصحّي الموجّه. فالانتحار عبر تقطيع الشّرايين أو شنقا (وهي طرق عادة ما يتم اعتمادها في الانتحار المنظّم) ارتبط بفترة أجبر النّاس فيها على البقاء في منازلهم وهو فضاء خاصّ ومغلق وبمجرّد انتهاء الحجر الصحي الشّامل عاد المحتجّون إلى الشّارع ليصبح الانتحار حرقا أو التّهديد به الأكثر حضورا بوصفها طريقة مُمسرحة للاحتجاج أمام المؤسّسات العمومية .

من الطّبيعي إذا أن يُولّد تدهور الوضعيّة الاقتصاديّة والاجتماعية بمفعول الجائحة ضغطا نفسيا متواصلا لدى المُتضرّرين وخاصّة المسؤولين عن إعالة عائلاتهم ممّا يُفقدهم تدريجيا القدرة على الاستمراريّة بسبب عجزهم عن تصوّر حلول فنراهم يتمرّدون على الإجراءات الصّحيّة بدعوى أنّ" الكورونا

إشاعة ."**إنّ هذه اللاّمبالاة هي في الحقيقة انعكاس لحالة اليأس التّي يعيشها هؤلاء بعد أن وصلوا لطريق مسدودة فسيّان لديهم إن ماتوا جوعا أو ماتوا بالوباء.**

إنّ تسليط الضّوء على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في محاولتنا لفهم الفعل الانتحاري لا يعني أنّ الجوانب الأخرى (مثال: الصّدمات النّفسيّة جرّاء انتكاسة عاطفيّة أو الاكتئاب...) غير مُهمّة وإنّمّا هو إبراز للدّور الذّي يمكن أن يلعبه هذا الجانب كمدخل للمشاكل الأخرى. فالفقر والتّهميش يعكسان ما يعرف ب "الحقرة" وهو عدم اعتراف الطّبقة السياسية وصنّاع القرار بشريحة مُهمّة من مواطنيها في جهات معيّنة ...

وربطا مع العُنصر السّابق المتعلق بالعنف الأسري فإنّ ما يحدث في الفضاء العامّ من توتر وتشّنّج مع ضُعف التّواصل بين الدّولة وشعبها قد أثّر بشكل واضح على الفضاء الخاصّ فاستبطن الفاعل هذه الأحاسيس وتحوّلت إلى غضب وعنف مسلّط على أفراد الأسرة في الفضاء الخاصّ (المنزل) نتجت عنه بفعل تراكمات حالات انتحار فيما بعد.

خاتمة

مثّلت سنة 2020 الّسنة الاستثنائيّة بكل المقاييس وإن لم تكن الجائحة سببا مُباشرا في تدهور الأوضاع ككلّ فقد أماطت اللّثام عن واقع معيشيّ مرير ينهشه الفقر وتنخُره الأمراض المُجتمعيّة مثل العنف والتّمييز والوصم الاجتماعي. وبما أنّ الفاعل الاجتماعي ليس بمنأى عن مُحيطه فإنّ محاولة فهم الفعل الانتحاري ودوافعه تعتمد بشكل كبير على تفسير الواقع الذّي يعيش فيه الفاعل.

ورغم أنّ المساحة البحثيّة المخصّصة في هذا التّقرير عن الانتحار ومحاولات الانتحار خلال الجائحة لا تكفي للتطرّق لكلّ جوانب هذا الفعل فقد حاولنا قدر الإمكان رصد أبرز دوافعه التّي يُمكن اختزالها في التّأثيرات النّفسيّة للجائحة المُتمثّلة في تفاقم العنف خلال فترة الحجر الصّحّي الشّامل وبعده وقد كانت فئة النّساء والأطفال أبرز ضحاياه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تداعياتها الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحادّة على المواطنين وخاصّة الفئات الهشّة وفي كلتا الحالتين يكون الانتحار أو التّفكير فيه نتيجة لفشل عمليّة التّواصل بين الفاعلين ومحيطهم الخاصّ مثل أفراد العائلة أو أرباب العمل وبينهم وبين الطبقة السياسيّة التّي

تحكمهم. فالحكومات المتعاقبة حافظت على منوال تنموي مُستنسخ من المثال النيوليبرالي منذ السّبعينات والذّي ثبت فشله في ضمان أدنى مقومات العيش الكريم حيث أصبح الجسد المُشتعل مشهدا مألوفا ومتداولا وحتّى رمزا لعديد التّونسيين المحترقين - مجازا- منذ سنوات بنيران الغضب والسّخط والنّقمة... بعد أن اغتصبت أقليّة سياسيّة حُلمهم و"ثورتهم." فحتّى تفشّي" كورونا "لم يغيّر الكثير في علاقة بتمثّلات هؤلاء "المنسيّون "للحياة ولم يدفعهم للحفاظ عليها فبالنّسبة لهم: **تتعدّد الأسباب (الكوفيد أو الجوع أو القهر) ولكنّ الموت يبقى واحدا.**

وعليه، فإنّ تجاهل الدّولة للصحّة النّفسيّة لمواطنيها يفسح المجال للمجتمع المدني وأهل العلوم الانسانيّة لمواصلة دورهم المواطنيّ وذلك من خلال التوعيّة والتّنبيه وحتّى الاستشراف للمستقبل تفاديا لحدوث قطيعة بينهم وبين مجتمعهم (وهو ما سقطت فيها الطّبقة السّياسيّة). لذا، فإنّ محاولة تفسير الفعل الانتحاري بالأرقام وبالاحصائيات وبالفرضيّات تُعدّ هامّة للغاية لأنّها تُساعد على مزيد التّعمق في فهم طبيعة مجتمعنا وتحثّ على استنباط حلول جذريّة تهدف إلى الحدّ قدر المُستطاع من مشاكله الاجتماعيّة والنّفسيّة.

مُلحق عدد 1: الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الولايات سنة 2020

2020	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
بنزرت	1	0	0	1	0	2	0	0	1	1	0		6
تونس	1	0	0	4	0	0	1	0	3	0	0	1	10
أريانة	0	0	2	0	0	0	0	0	0	0	0	0	2
منوبة	0	0	0	1	0	0	0	0	0	0	0	0	1
بن عروس	0	0	0	1	1	1	0	0	0	0	0	0	3
زغوان	0	0	0	0	0	0	0	2		0	0	2	4
نابل	2	2	0	2	2	7	0	2	4	1	2	3	27
جندوبة	1	0	0	0	10	1	0	2	1	4	0	1	20
باجة	0	0	1	0	0	0	2	0	0	0	0	0	3
الكاف	0	2	0	0	0	0	0	0	0	2	0	0	4
سليانة	0	0	0	6	1	1	0	0	0	0	0	0	8
سوسة	3	2	2	0	0	1	3	1	1	2	0	2	17
المنستير	1	0	0	0	0	2	0	0	0	0	0	0	3
المهدية	1	2	0	4	2	0	0	0	0	0	0	0	9
صفاقس	1	2	0	4	2	0	0	0	0	0	2	0	11
القيروان	4	2	3	2	8	2	2	8	1	2	2	1	37
القصرين	0	2	0	2	3	1	0		0		0	2	10
سيدي	8	3	3	0	1	0	0	1	1	1	1	1	20
قابس	0	1	2	0	0	1	0	0	0	0		1	5
مدنين	0	0	1	1	2	0	0	0	0	1	2	0	7
تطاوين	0	0	0	0	0	0	0	0	0	2	0	0	2
قفصة	2	0	0	2	2	5	3	0	3	0	0	0	17
توزر	0	0	1	0	0	0	0	1	0	0	0	0	2
قبلي	0	0	0	0	2	0	0	0	0	2	0	3	7
المجموع	25	18	15	30	36	24	11	17	15	18	9	17	235

مُلحق عدد 2: الانتحار ومحاولات الانتحار حسب الجنس والشّريحة العمريّة سنة 2020:

2020	أقلّ من 15 سنة		من 16 إلى 25سنة		من 26 إلى 35 سنة		من 36 إلى 45 سنة		من 46 إلى 60 سنة		أكثرمن 60 سنة		المجموع	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
جانفي	4	1	1	1	5	3	5	1	3	1	0	0	18	7
فيفري	0	0	2	3	2	3	2	0	3	2	0	1	9	9
مارس	1	0	4	0	4	1	0	3	2	0	0	0	11	4
أفريل	0	0	5	1	10	0	8	2	2	1	1	0	26	4
ماى	7	3	1	2	5	3	8	2	4	0	1	0	26	10
جوان	0	0	4	0	8	0	2	1	5	0	1	3	20	4
جويلية	0	0	0	3	3	0	3	1	0	1	0	0	6	5
أوت	1	0	5	2	6	0	0	0	3	0	0	0	15	2
سبتمبر	5	0	1	1	2	0	2	1	2	0	1	0	13	2
أكتوبر	1	1	2	3	5	2	0	0	1	2	1	0	10	8
نوفمبر	0	1	3	0	1	1	0	0	3	0	0	0	7	2
ديسمبر	1	0	3	2	3	2	3	0	1	0	2	0	13	4
المجموع	**20**	**6**	**31**	**18**	**54**	**15**	**33**	**11**	**29**	**7**	**7**	**4**	**174**	**61**

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
2 شارع فرنسا عمارة ابن خلدون (الناسيونال سابقا)
الطابق الثاني شقة 325 تونس باب بحر 1000
الهاتف: 129 325 71(216+) الفاكس: 128 325 71(216+)
contact@ftdes.net ftdes.net